القرآنية في كتاب الفصول والغايات لأبي العلاء المعري

م. م. نصير حسن جواد

مديرية تربية الديوانية/ إعدادية المتميزين للبنين

الخلاصة :

القرآنية هي آلية يعتمدها المبدع لتنويع أدواته الأسلوبية، وهي من المصطلحات التي ظهرت حديثا، لتدل على الأخذ من القرآن الكريم لخصوصية النص الكريم، وأوَّل من اجترح هذا المصطلح هو الدكتور مشتاق عبّاس معن، بوصفه آلية من الآليَّات التي يتوسَّل بها المبدع في تشكيل نصوصه الابداعية من جهتي الرؤى والأنساق، بنية وايقاعاً، بحسب سياق القرآن الكريم.

كان يستعاض عن القرآنية بمصطلحات كثيرة، مثل: الاقتباس والتضمين والتناص القرآن أو الأثر القرآني، لكن القرآنية كان مصطلحات موفقا ومنطبق مع شروط وضع المصطلح واجتراحه. مع ما سنراه من مؤاخذات على تلك المصطلحات الأخرى.

إن دراسة القرآنية في كتاب الفصول والغايات لهي من أنجع الأدلة التي تقطع تلك التهمة التي اتهم بها المعري، والتي مني بها أدبه، فهذه الدراسة كشفت عن أن المعري لم يحاذِ القرآن ولم ينظم على منواله، ولم يكن مبارياً لكتاب الله، إنما كان في صدد توظيف القرآن ومعانيه ليسهل على المتلقي المفردات اللغوية الغريبة والنادرة والوحشية، ويسلكها في عقد معنوي متين، لا تنفرط فيه الكلمة بل تتلاحم مع سياقها. فكانت القرآنية ذات خضور مهم في إبداع والتلقي، فمن جهة الإبداع أن المعري أدرك طبيعة المفردات الغريبة وأنها لا تنضم إلى حقول لغوية متقاربة، فما كان منه إلا أن اختير لها معاني قرآنية تنظمها، ومن جهة المتلقي، أن المعري اهتم في جانب التلقي.

الكلمات المفتاحية : القرآنية، الفصول والغايات، أبو العلاء المعري.

The Qur’nic Elaboration in Abu al-Alla’ al-Ma’ry’s Book al-Fosool Wal al-Ghayat

Assist. Lect. Naseer Hassan Jawad

Abstract:

Qur'anic is a mechanism adopted by the creator to diversify his stylistic tools, and it is one of the terms that have appeared recently, to denote the taking from the Holy Qur'an for the specificity of the noble text, and the first to suggest this term is Dr Mushtaq Abbas Maan.

As one of the mechanisms used by the creator in shaping his creative texts in terms of visions and patterns, with structure and rhythm, according to the context of the Holy Qur’an. The Qur'anic was replaced by many terms, such as: quotation, implication, intertextuality, the Qur'anic intertextuality, or the Qur'anic effect, but the Qur'anic was a conciliatory terminology and applied with the conditions for developing and proposing the term.

With what we will see of the pitfalls of those other terms. The study of the Qur’an in the book is one of the most effective evidences that clear up the charge with which Al-Ma’arri was accused.

This study was revealed that Al -Maari did not exist the Qur’an and did not organize its pattern, and it was not a municipality for the Qur’an, but it was in the regard of the usage of the Qur’an and its meanings to facilitate the recipient of the strange, rare and brutal vocabulary

The Qur'anic had an important presence in creativity and reception. From the point of view of creativity, Al-Ma'arri realized the nature of the strange vocabulary and that it does not join close linguistic fields. It was only from him that Qur'anic meanings were chosen for it to organize it.

On the part of the recipient, Al-Ma'arri was interested in the aspect of receiving

Keywords: The Qur’nic Elaboration, Abu al-Alla’ al-Ma’ry’s, al-Fosool Wal al-Ghayat

المقدمة:

يتناول هذا البحث موضوعة نقدية حديثة ، ألا وهي دراسة القرآنية في كتاب الفصول والغايات في تمجيد الله والعظات للمعري ،فلا يزال المعري يشكل سؤالاً في التراث الأدبي عموما شعرا ونثرا ، فكتابات المعري هي من تابوهات الإبداع ، المتهم بالخروج عن أيديولجية التراث العربي .

وتنبع أهمية دراسة المعري من جانب قرآني من خلال تطبيق النقد الإبداعي الذي ساهم في ترويض النصوص الخارقة للأعراف والثابت من قواعد الكتابة ، حتى يزيح عنها تلك النكتة السوداء ويتقبلها ، فالنقد الإبداعي يتفهم هذه الخروق ،وليس غريباً أن تقول: "نتالي ساروت "و"آلان روب غرييه" وغيرهما إن النقد التقليدي كان قاسياً ومكسراً لا للتجربة وحدها ، ولكن أيضا لهاجس الحرية الذي هو منتهى الحياة في النهاية والمحرك الأساسي للإبداعية. ما يحدث في النقد العربي التقليدي، هو شيء قريب من هذا. والمرجعية الثابتة التي تحولت إلى رقيب أكثر منها إلى إبداع نقدي، نافياً لكل جهد متمايز . فالمعري لا يمكن تفهمه وتقبل طرحه، إلا من خلال نقد لا يسم تلك الأعمال بالخروج والشذوذ .

التمهيد:

تقتضي الضرورة المنهجية توضيح مصطلح القرآنية، كونه مصطلحا حديث النشأة، كما تقتضي التعريف بكتاب الفصول والغايات الذي ما زال مثار جدل ونقاش.

أولا: القرآنية:

القرآنية هي اجراء نقدي يعتمده المبدع للتنوّع في أدواته الأسلوبية، فضلاً عن عدِّها مصطلحاً من المصطلحات الحداثوية التي انبرت الى الساحة الأدبية لتفوق المصطلحات السابقة المتداولة التي وهي (الاقتباس والتضمين والتناص الخ) والتي بقيت أقلام المبدعين قرون طويلة تتداولها.

وأوَّل من اجترح هذا المصطلح هو الدكتور مشتاق عبّاس معن، إذ عرّفه بوصفه ((آلية من الآليَّات التي يتوسَّل بها المبدع في تشكيل نصوصه الابداعية من جهتي الرؤى والأنساق، بنية وايقاعاً، بحسب سياق القرآن الكريم)) [١]، ويبدو من ظاهر القول إنَّ الدكتور معن قد اعتمد مصطلح القرآنية بوصفه ((مصطلحاً نقديّاً للدلالة على ذلك التناص الذي يوظِّف فيه مفهومات النص القرآني أو ألفاظه في المنجز الأدبي الشعري عوضاً عن ما عرف بالتناص القرآني أو أثر القرآن أو غيرهما لما عليه من مآخذ تجاوزها مصطلح القرآنية، لما يدل عليه مع اختصاره ببنية مفردة غير مركَّبة)) [٢].

إنَّ مفهوم القرآنية نمطٌ معاصرٌ يتجلى فيه تعامل الأدباء مع النص القرآني إذ يتم بموجبه استحضار النص القرآني أو استضافته في النص الأدبي، بهدف إغناء النصوص الإبداعية بطريقة (قصدية / غير

قصدية)، (مباشرة / غير مباشرة)، تتشكل من خلال نصوص الإبداعية، بكونه مرجعاً يشحذ إبداعهم الأدبي، يُضيء نصوصهم، ويرقى بها إلى مصافي بلاغية عالية، فكل الأدباء لا سيما الخطباء كانوا يحرصون على الاقتباس من القرآن.

وكانت دواعي ذلك الاجتراح كثيرة، واستغناؤه عن المصطلحات الأخرى المجاورة؛ لما رأى في مصطلح (التضمين والاقتباس) الذي عده بعض النقَّاد سرقة وهذا ما استعاض الدكتور معن ليكدَّ الذهن في انبثاق مصطلح آخر يحلُّ محلَّهما، وهو لم يكتفِ بذلك بل تجاوز ذلك الى مصطلح (التناص) بوصفه مصطلحاً يدلُّ ((على ثنائية مفاهيمية من جهة (الأخذ والمأخوذ) الأمر الذي يحدث لبساً عند بعض المتلقين لو أضفناه إلى أثر القرآن إذ يدلِّل على أن المأخوذ هو القرآن، كما يصحُّ أن يكون الآخذ أيضاً، ولاستحالة الاتفاق مع الفرض الثاني، أعرضنا عن هذا الاصطلاح، وأن نستبدل به مصطلحاً جديداً))[٣]. وهذه التفاته جيدة وركيزة اساسية لانبثاق مثل هذا المصطلح ليحلَّ الاشكال واللبس.

ولعل اعتراضه على مصطلح أثر القرآن مردَّه هو سعي ((نقَّادنا القدامى وجملة من النقاد المحدثين إلى تمييز الأخذ من القرآن الكريم والافادة منه بمصطلحات تدل عليه، كما اختلف القدامى في تلك الاصطلاحات، فبعضهم ميَّزه بـ (الاقتباس أو التضمين) في حين ادخله بعضهم خانة (السرقة) لـ (لأبي محمد عبد الله بن يحيى المعروف بابن كناسة ت٢٠٧هـ) الذي ألَّف كتاباً بعنوان (سرقات الكميت من القرآن وغيره) وجرياً على ذاتية التمييز تلك سعينا لاجتراح مصطلح (القرآنية) لتمييز عملية الأخذ والافادة من القرآن من سواها)) [٤]، ومن خلال هذا الكلام يتبيَّن تمازج مفهومين: الأوّل: الاقتباس والتضمين، والآخر: جعله للحديث النبوي الشريف اقتباساً أو تضميناً متداخلاً مع القرآن الكريم، وهذا ما حاول الباحث الابتعاد عنه باجتراحه مصطلحاً ذا خصوصية واضحة الاّ وهو القرآنية[٥].

وهذا التداخل (تداخل الحديث الشريف) و (الاقتباس والتضمين) يعود الى عدم الوعي والتفريق الدقيق بين المصطلحين، فالاقتباس ((يخصُّ القرآن والحديث على أن لا يدمج قوله تعالى أو كلامه (ص) بكلام الآخرين، والثاني يخصُّ الشعر))[٦]. لذا وإنطلاقاً من الخط العام للبحث الأكاديمي والعلمي ورغبة في تمكين حدود المصطلح النقدي وحفظه فقد أصبح من المناسب بمكان أن يسعى الدكتور مشتاق عباس معن في أن يلم شتات الأمر لينفرد بإجتراحه لمصطلح القرآنية محققاً شروط المصطلح النقدي الحديث الأربعة في إختياره لمصطلح القرآنية وهذه الشروط هي :-

١. تجنب الملابسة والإيهام بين مدلولي اللفظة لغة وإصطلاحاً، لذا نجد أن هذا الشرط يتحقق في عبارة (أثر القرآن) ومصطلح (القرآنية) لأن دلالتهما واضحة وإقتران معناهما بين الأصل اللغوي والوضع الإصطلاحي واضح للعيان، أما مصطلحا (التناص القرآني) و(التناص الديني) فنجد دلالتيهما ثنائية.

٢. تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد :- يتقاسم عبارة (أثر القرآن) ومصطلح (القرآنية) وجه القبول من هذا الشرط أما مصطلحا (التناص القرآني والتناص الديني) فلا وجه قبول لهما لأن الدلالة التي يعززها تركيبهما توصي بأن النص (المطروح) آخذاً من القرآن أو الدين كما يمكن أن يوصي بأن النص المطروح (مأخوذاً) من القرآن أو الدين أي أن الدلالة الناتجة عنهما هي دلالة ثنائية لا تعطينا المفهوم المراد.

٣. إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب: - تؤكد هذه القاعدة أهمية (الإيجاز) في المصطلح لغرض التسهيل وهذا ما لا يتحقق في المصطلحين (التناص القرآني والتناص الديني) فضلاً عن العبارة اللغوية القريبة من الإصطلاح (أثر القرآن) فالتركيب سمة واضحة في هذين المصطلحين، لذا يكون طرحهما عن طاولة التداول أولى وفقاً لهذا الشرط أما مصطلح (القرآنية) فينفرد بالقبول لكونه مصطلحاً متشكلاً من لفظ واحد فحسب.

٤. تفضيل مصطلحات التراث العلمي على المولّدات والمحدّثات :- لقد حمل المصطلحان (التناص القرآني والتناص الديني) صفة التوليد والإحداث وذلك لربط مصطلح غربي وهو (التناص) مع لفظ مقدس وهو (القرآن) أو (الدين) وقد حافظ مصطلح (القرآنية) على التسمية الموروثة للقرآن الكريم ولم يتجنَّ عليها، ناهيك عن القدسية التي يحافظ عليها مصطلح (القرآنية) أكثر من إضافة مصطلح غربي الى لفظ مقدس هو (القرآن).

وخلاصة القول أنَّ مصطلح (القرآنية) أكثر إنطباقاً على شروط المجمع العلمي العراقي وأدق من جهة الدلالة على المفهوم المراد مما حدانا الى أن نصطفيه مصطلحاً دالاً على ما نريد من قراءة تحليلية فاحصة لمجمل النصوص الشعرية التي أنتجها الشعراء الروّاد والتي تأثروا فيها بالقرآن الكريم، ولم يعد المصطلح حكراً على الشعراء الرواد، فلو أننا تفحصنا النصوص الشعرية القديمة والحديثة لتمثلت القرآنية فيها دونما تمييز بين القديم والحديث.

ومن هنا أصبح انبثاق مصطلح القرآنية ((مدعاة لتعميق فكرة استمرار تأثير ذلك النص وموازاة لمعطيات ذلك الاستمرارالأدبي بمواكبة مفاهيمية ونظرية تنسجم ومستجدَّات التفكير النقدي وتطوّر رؤاه))[٧]، فضلاً عن ذلك أنه نص ذو أهمية اعجازية غنية بالدلالات والرؤى والأفكار والمصداقية والتميُّز، وكلُّ ذلك فضلاً عن غيرها جعلت منه رافداً خصباً غنيًّاً للمبدعين، يرفدون به قريحتهم ويستلهمون منه الدروس والعبر والمواعظ. وهذا الاستحضار القرآني في الخطاب الشعري ما هو الّا دليلاً للمصداقية والاصالة التي تتميَّز بها دلالات أو حيثيَّات الخطاب الشعري وما هذه الاصالة المتحقِّقة متأتِّية الاّ من مصداقية الخطاب القرآني وسرّ اعجازه وبلاغة أسلوبه.

ومن هنا أصبح الاهتمام بالخطاب الاعجازي هو من أجل صقل الألسنة وتقويمها وغنائها بالحكم والعبر والاساليب الإبداعية في عرض الأفكار وكيفيَّة صياغتها الخارقة، وفي ضوء ذلك أصبح التأثُّر بالقرآن الكريم ظاهرة ((تنفرد بها الثقافة العربية وتؤثّر في حركيَّة عملية تشابك العلاقات التناصية فيها، فلا تعرف الثقافات الأخرى مثل هذا النص الأب، النص المثال، النص المسيطر، النص المطلق، النص المقدّس، صحيح أنَّ كلَّ المجتمعات لها نصوصها المقدّضسة، ولكن هذه النصوص لا تطرح نفسها كنموذج أعلى للكمال والجمال اللغوي)) [٨]. ومن هذا المنطلق أصبح الاستشهاد بالقرآن الكريم ((المندرج في صُلب الخطاب الأدبي الاّ هو حضور للنص القرآني في ذهن الشاعر، وإلحاحه على اتخاذ الموقع الملائم في البنية الشعرية واسهامه في تنشيط فاعلية النص الشعري والتأثير ايجابياً على المتلقين))[٩]، وهو بذلك يقطع الشك باليقين ويكون ذا شحنة معنوية ترفد النص وتكسبه ألقاً ونوراً واشراقاً، فضلاً عن أدلّته القاطعة للمسائل التي يعمل النص على معالجتها وتنويرها[١٠].

وفي ضوء ذلك كلّه نقول مع من يقول إنَّ القرآنية ما ((هي أحداث علاقة بين طرفين في ضوء جعل احداهما متضمِّناً لدلالة الآخر، وذلك عن طرية الركون إلى النص القرآني، فيحصل في النص الجديد المنبثق عنها، تداخلات نصِّية، محمولة مع احالتها المرجعيَّة، لتشكيل صور الخطاب الشعري وجوهره المعرفي)) [١١].

وفي نهاية هذا المهاد التنظيري لمصطلح القرآنيّة نرى أن موضوع بحثنا تكمن فيه الخصوصيَّة في أنّه نصّ ديني، ولكنه لم يكن صادراً من الله، بل من الولي الامام السجّاد (عليه السلام) الذي يعد امام مفترض الطاعة وهو موضوع لم تسلّط عليه الأضواء مطلقاً من ناحية دراستنا (أي شعر الامام السجاد) وقد لمست فيه اجراءات القرآنية بأنواعها مستفيداً منها في عرض أفكاره ونيّته في توظيف الأخبار والعبر فضلاً عن الاقناع والاحتجاج وهذا ما سيتَّضح بعد قليل في المباحث اللاحقة.

كثيرة هي الدراسات والأبحاث النقدية التي تناولت (الإنتاج الأدبي)، بما فيه الكشف عن المنابع التي أسهمت في إثراء (النص الإبداعي)، وقد جعلت هذه الدراسات من فكرة (التلاقح) منطلقاً تدلفُ به صوب النصوص الأدبية على نحو عام، والنصوص الشعرية على نحو خاص، وكان قمة تلك المنابع (القرآن الكريم) ذلك الكتاب الذي بهر الألباب والأفئدة منذ تلاوته الأولى إبان نزول الوحي الى يومنا هذا، فأخذ الباحثون يسبرون أغوار النصوص الشعرية، ويتأولون غضونها بحثاً عن ملامح هذا الأثر الجليل فيها.

وكان لتلك الظاهرة صدى في عنوانات البحوث والمؤلفات والرسائل الجامعية، فظهرت عبارة (أثر القرآن) في كثيرٍ من الدراسات للدلالة على إسهام القرآن الكريم في بناء النصوص في مختلف الأجناس تتويجاً لما قدمه القدامى من مؤلفات في هذا المضمار، فكان أن شغلت عبارة (أثر القرآن) مساحة كبيرة في الخطاب النقدي

العربي المعاصر ومما يدل على ذلك تواطؤ الباحثين عليها الى يومنا هذا والمصطلح المرادف الآخر هو (التوظيف القرآني).

ثانياً: كتاب الفصول والغايات:

هو أحد مؤلفات المعري النثرية، كتبه المعري بعد رجوعه من بغداد، بل هو أول كتاب شرع في تأليفيه بعد عزلته ورجوعه من بغداد، ووجدت ابن العديم يؤكد ذلك "فأول ما ألف بعد انقطاعه في منزله بعد رجوعه من بغداد، الكتاب المعروف بـ(الفصول والغايات) في تمجيد الله تعالى والعظات" [١٢]، وواضح غرض المعري من تأليفه هذا الكتاب، وهو تمجيد الله وتعظيمه وتنزيهه. وقد اتهمه النقاد القدماء في الكفر بسببه؛ اعتقادا منهم بأنه قد عارض القرآن فيه، قال الذهبي ((هذا إلى ما يحكى عنه في كتاب " الفصول والغايات " وكأنه معارضة منه للسور والآيات. فقيل له: أين هذا من القرآن ؟ قال: لم تصقله المحاريب أربعمائة سنة)) [١٣]

لكن المتأمل في كتاب الفصول والغايات يجده بعيداً عن تلك المعارضة المدعاة، ذلك أن والدراسات الحديثة قد نفت كل تلك المعارضة بأدلة يعضدها سياق تلك الفترة التي عاشها المعري بعد رجوعه من بغداد فـ"يبدو ـ المعري ـ للناظر في آثاره التي جاءتنا، أو التي سيق إلينا خبرها ووصفها — وإن لم نرها — شخصية خطابية قد عنيت بالخطابة الدينية الواعظة المستهوية، بل عنايتها بهذه الناحية من الخطابة الدينية، تستأثر بالثمار الأدبية كلها لفن أبي العلاء[١٤]، فهذا أبو العلاء يقول عن نفسه في التأليف: اجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلا أن أُضطر إلى غير ذلك فأمليت أشياء" [١٥] فكان التأليف المحبب له في هذه الحقبة، هو تمجيد الله وتنزيهه، ويسهب الأستاذ أمين الخولي في ذكر مؤلفات المعري في هذا الجانب الوعظي الإرشادي " فكتاب الفصول والغايات، إنما هو في المواعظ. وفيه مثَل صادق لهذا الوعظ الذي يلبس فيه رداء الوعاظ، ذلك الحديث الذي ينفي فيه الأسباب، ويجيز للقدرة تناول المستحيلات، وكتابه «الأيك والغصون» إنما هو في العظات وذم الدنيا، وكتاب «تضمين الآي» إنما السبب في تأليفه أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتابًا برسمه، ولم يؤثر أن يؤلف في غير العظات والحث على تقوى الله فأملى هذا الكتاب" [١٦]. فمن غير المعقول أن مؤلفات تلك الفترة كلها تنحو نحو الخطابة الدينية والوعظية ويكون كتاب الفصول والغايات وهو أول بداية تلك الفترة كتاب ناشز عن السياق العام للفترة، فلم يكن من بد إلا أن تكون هذه المعارضة تهمة اتهم بها أبو العلاء من لدن حساده وأعدائه، وعُرف عن المعري كثرة أعدائه.

المبحث الأول:

القرآنية المباشرة

القرآنيّة المباشرة من أيسر أنواع القرآنيَّات حضورا بما تتضمَّنه من توظيف مباشر للألفاظ القرآنيَّة، أو الآيات من غير تلاعب بالخطاب القرآني أو هي الأخذ من القرآن دون تحوير للمعاني، وفي ضوء ذلك تكون

بنيتها ((التناصيَّة فيها محافظة على وضعها الأوّل من غير تغيير يطرأ في التعامل مع اللفظ أو البنية)) [١٧]. وهذا النوع من القرآنية من السهل رصده في النصوص الشعريّة واكتشاف مرجعيّتها[١٨]، ولاسيَّما على ((المتلقين ذوي الثقافة المحدودة فضلاً على تهوين عملية فكِّ الشفرة النصيَّة واجراء المقاربة الدلاليَّة بين النص الجديد (الآخذ) والنص القديم (المأخوذ) لتكون عمليّة إبلاغ النص واستقباله هيّنة ليّنة على المتلقين)) [١٩]، وهي على سهولة توظيفها تبقى مكانتها في الشعر تعطي مزيداً من الاطِّراء أو الفهم حتى يبقى النص القرآني متعالقاً مع النص الشعري، وهذا إنْ دلَّ على شيء إنّما يدلُّ على التبحّر العميق للباث في نفوس المتلقين. وكان أغلب نصوص المعري تنتمي إلى القرآن المباشرة المحوّرة، من ذلك قول المعري :

"قد ضَلَّ وخَاب مَن يُعاند الفَرد المَعبودَ خالقَ ما جمدَ وما ماج، من ريح وجبل وماء، عارفَ ما يَهجِس في قلب الفازر كما يَعرف شُعاع النهار، سيّانِ عنده الخفيُّ والظَّاهر، والبعيدُ والمكثبُ، أقرَّ البسيطةَ ورفع الأنوارَ، ولو شاء لردَّ اليَفن إلى الشبَّاب. غاية. "[٢٠]

هذه المحاذاة بين نص المعري والقرآن ألفاظا ودلالة تشير إلى تشرب المعري النص القرآني ومعانيه، فقد وقع التناص مع آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[٢١] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٢٢] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٣] علاوة على الألفاظ القرآنية (ضل، خاب، الظاهر، خالق، معبود) وغيرها من الألفاظ التي تحيل على مفردات الخطاب القرآني، كل ذلك جاء ليرفع المستوى البلاغي للنص المنظوم، فأخذ يقتبس من بلاغته ويحاكي ألفاظه ومعانيه، راجيا من ذلك إغناء النص بعذوبة العبارة ورقة صوتها مما يسهم في إثراء النص أدبية وطراوة.

إن الغاية المنشودة ـ كما يراها النقاد ـ غاية لغوية، لكن المعري بذكائه الوقاد وظف الكلمة القرآنية الساطعة في نص أقرب ما يكون إلى الجفاف، إذ هو كتاب لغوي بحت، يخلو من الأدبية، لولا ترشح معاني وألفاظ القران الكريم، الذي أضفى على النص المنثور طراوة وماء يلين لها النص ويغدو نصا أدبيا. فلنتأمل ذلك في قوله :

"رجْع: اللَّهُمَّ أجعَل ذِكرَكَ عَذْباً على عَذَبةِ لساني، ومخلداً طُول حياتي في خَلَدي، ونَفَساً عندَ الكُربةِ لنفسِي، ومُنبطاً للحكمةِ في قَلِيب قلبي، وأَسأَلُكَ عِصمةً من الذُنوبِ فإن لم أكن أهلاً لِلعِصمَةِ فَلتكُن جَرائِمي مَعَك لا معَ عِبادِك فإنك الحليمُ الكريمُ، وإنَّا مَعشَرَ الإنسِ فينا سُوءُ ظَفَرٍ وقلَّة احتمالٍ. واجعل رَبِّ طَاعَتَك سَيفي على العَدُوِّ وسِناني، وزَادِي في السفرِ وراحِلَتِي، وأُنسِي في الوحدةِ ولذتِي، وأَعُوذُ بِكَ مُنشِئَ الخلقِ من أُذُنٍ كأُذُنِ طَوِيِّ الزُّجاجِ الذي ماؤُهُ حِبرٌ ورِشاؤُهُ يراع، له أَربَعُ آذانٍ يُجذَبُ بها فَيَتْبَعُ، وهو معَ ذلكَ لا يَسمَعُ، ومِن فَمٍ

كالوِجَارِ ما طُرِحَ فيهِ لَهِمَهُ، ومن يدٍ كيدِ الصَّبيِّ، تَبهَشُ إلى كل شيٍ، وليكن ليلي فيكَ ليلَ أَنقَدَ ونهاري لكَ نهارَ الطَّيرِ الغِراثِ. غاية[٢٤].

فنلحظ كلما زادت ألفاظ القرآن زاد النص جمالا وطراوة، وكلما أوغل المعري في غريب اللغة والشارد منها ابتعد عن البلاغة، وتقل إمكانية تحقيق الغاية المنشودة، لانشغال القارئ بالغريب والوحشي من الكلام حتى ينفلت المعنى من بين يديه، ولا يهتدي للمراد إلا بشق الأنفس كقول المعري:

" رجع: إن سَرَّتكَ السلامَةُ من الناسِ، فكن للخالقِ غيرَ ناسٍ. لِلّه العَذبُ والسَّجسَ، والأبهَرَانِ والمَعجِسُ، والمُسلِمُ والمُتَمَجّس، وهو الطاهرُ وأنا النَجِسُ. وَيحكَ أما تُوجِسُ رَاعِداً يَرتَجِسُ، يَعِدُ أن سَيَنبَجِسُ، إنَّك لمُتَفَجِّسٌ، ما علَّقَ عَلَيكَ المُنَجَّسُ؛ كلُّ ما يَخطُرُ ويَهجِسُ، عَلِمَ به ربُّكَ قبلَ أن يَجِسَ، وبه المستغاث. غاية .

تفسير: السَّجسُ: دون الملح. والأبهران والمعجِسُ: من نُجُوم القوس. الأرتجاس: صوت الرعد . والمُتَفَجِّسُ المتكبر. والمنجس: من التنجيس وهو أن يعلق على الصبى والجارية إذا خافوا عليهما العين شيئاً من عظام الميتة ورُءُوس الأرانب وغير ذلك. يجس: من وَجَسَ في نفسه إذا خطر فيها"[٢٥].

ولذا يحرص المعري حرصا شديداً على الأخذ من القرآن الكريم أفكارا ومعاني وألفاظا، ذلك لأن القرآن الكريم كتاب صقلته الألسن وتلوته آناء الليل وأطراف النهار، وصار معيارا للكلمة المأنوسة واللغة المستعملة.

ومن الغايات التي اقترب فيها أسلوب المعري من القرآن قوله: " **رجع: كفرت البرية وربها حليم، صوم الآبد أفضل من صوم المفطر على حرام، فاذا صمت من المآثم فعند ذلك صم عن الطعام، واحجج كلوم جرائمك فإذا برئت فاحجج عند ذلك مشاهد الصالحين، واعلم أن صلاة المنافق صلاء النار وطهارة الخلد أبلغ من طهارة الجسد بالماء. غاية.**"

لا تكاد تجد في هذا النص كلمة غريبة أو مفردة بعيدة المعنى، ذلك لأن مفردات النص هي مفردات قرآنية قد استقرت في أذهان العامة والخاصة، فتجد (كفر، البرية، رب، حليم، صوم، حج، حرام، أثم، الطعام، صالح، صلاة، طهارة، منافق) علاوة على إحالة النص إلى معنى قرآني كقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢٦] وقوله تعالى: {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَما هُمْ مِنْكُمْ وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ }[٢٧]. فالمعري لم يجد نصحا وإرشادا أبلغ من إرشاد القرآن الكريم ونصحه وقيمه التي يبثها للناس، فعمد المعري إلى هذا الأخذ لألى يخرج من أهم ما يُنصح به ويُرشد إليه، علاوة على قصده التأثير في المتكلمين وإيقاظ شعورهم اتجاه ما أهمل من القيم الدينية.

إن الغاية التي يقصدها المعري من وراء كتابه هذا ـ كما يرى النقاد المحدثين ـ أنها غاية لغوية، وعلى الرغم من مشاطرتي لرأيهم، أرى أن هناك ضميمة أخرى لهذه الغاية، وهي غاية دينية يقصدها المعري قصدا ذاتيا أوليا.

فقد استطاع المعري في النص السابق أن يجعل نصه زاخراً بآيات القرآن الكريم مباشرة، إذ عمد إلى توظيف مجموعة من الآيات مع تعديل أو إضافة أو حذف لكي تؤدي رؤيته والمعنى المراد، وأخذ المعري الآيات المتوافقة مع مراده، بحيث أدت تطابقاً واضحا من غير خروج عن المألوف.

المبحث الثاني

القرآنية غير المباشرة

" المحوّرة "

فهذه القرآنيَّة الايحائيَّة بالرغم من تسميتها بالقرآنيَّة غير المباشرة المحوَّرة فيمكن اختصارها بمصطلح القرآنيَّة الايحائيَّة التي لم تكن ظاهرة مباشرة أو اشارات هنا أو هناك، بل توحي من خلال القراءة الواعيَّة والتأمل العميق في النصّ لعلَّها تمسك بها. فالقرآنيَّة الايحائيَّة تقل فيها الحرفيّة والعلنيّة، ولكنّها تبرز بأدنى مجهود من طرف المتلقِّي ولذلك يمكن أن توصل إلى إقامة علاقة بين النصّين، الحاضر والنص الموحى إليه بحيث لا يمكن فهم النص الأوّل فهماً دقيقاً من دون إدراك السرِّ العلائقي بينه وبين الثاني[٢٨].

ويعد هذا النمط من القرآنيّة من أفضل الانماط أصالة وتوظيفاً وابداعاً بوصفه مانحاً قدراً كافياً للمبدع لِئن يبثّ قدراته الابداعيَّة فضلاً عن منحه مزيداً من المشاركة للمتلقِّي لأن يشاركه في تعدِّد المعاني واستمرارها. زيادة على ايحائيّتها التي تستوجب قارئاً متفنِّناً يمتلك ثقافة قرآنيَّة مثلما يمتلكها الباث لكي تؤهِّله في اجراءاته التحليليَّة والتفسيريَّة. وفي هذا النوع من القرآنيّة يتم ((استدعاء صورة النص الغائب أو النص المولّد في النص الحاضر فيعمد الشاعر إلى التصرّف في النص الغائب باعادة توجيهه والتصرف في صياغته بما يتناسب مع أبعاد التجربة)) [٢٩]. وكل ذلك من أجل فهم النص جيّداً وتفكيكه وسلخه من جذوره ومن ثمَّ اعادة العمل على ربط الخيوط المتبعثرة لتكوِّن نصَّاً جديداً قادراً على انتاج معنى جديد.

وهذا النوع من القرآنيَّة يعد من أصعب أنواع القرآنيّة، لما يتَّسم به من صفات تجعل المتلقِّي يلاقي صعوبات جمَّة في تحليله وقراءته، وهذه الصعوبات في التحليل والاستنباط هي التي تميّزه وتمنحه صفة والتجدّد، زيادة على جعل النص قابلاً لئن يقرأ قراءات متعدّدة في وقت أو أوقات متغيّرة.

وهذا يظهر أو يدل على ((مقدرة الشاعر بتلاعبه في اشتقاق المفردات لصنع لغة حديثة بدل اللغة القديمة مع خلق مضمون فكري جديد)) [٣٠] [٤٥]، وفي هذا النوع تغيب كلّ الاشارات السطحيَّة للنصّ المستحضر بحيث تحتاج إلى تأمّل عميق من القارئ، حتّى يصل إلى البنية النصّيّة التي استدعت في بناء النص الجديد، لانّ المبدع عدَّل في بنية النص الاصلي المستضاف حتّى غابت ملامحه الرئيسة التي تسهِّل عمليّة الاصالة[٣١][٤٦]، وهذا النص التغييب الاشاري للمرجعيّات المستحضرة تتطلّب جهداً كبيراً في عمليّة التفكيك

والتحليل بوصفها عمليّة شاقّة للمتلقّي، بوصفها تتطلّب تبعثر البنيات ومن ثمَّ ربطها بصورة لائقة صحيحة مناسبة للنصّ الممتصّ الاعجازي بحيث لا تؤثّر على قداسته الآلهيّة.

من ذلك قول المعري " رجع الخيانَةُ جَنْسَانِ: خِيانَةُ الضَّيرِ فَتِلْكَ لا يَشْعُرُ بِهَا غَيْرُ اللَّهِ وَالْخِيَانَةُ الظَّاهِرَةُ تَنقَمُ عَلَى أَقسَامٍ: خَانَتِ العَيْنُ بِنظَرِ وَاطِّلاع، وَالْأُذْنُ في إصغاء واسْتِمَاع، وَالنِّسَانُ فِي قَوْلِ وَاخْتِرَاعٍ، وَالقَم بأكل مُضَاع، وَاليَد في اكتساب مَال المشياع، والقَدَمُ إِذَا نَقَلَهَا لِلإِثْم ساع. وَكُل عضو أعانَكَ عَلَى الخيانَةِ فَقَدْ خَانَ، وَحْيَانَةُ الفَرْج أقبح الخيانات. والنَّاسُ أربعة نفر: مسعودُ عَعِيسَ فَهُو المرحوم، وَمَنحوس سُمِدَ فَهو الْمَحْمُودُ، وَمَوْلُودٌ بِالسَّعَادَةِ إِلَى أَنْ يَمُوتِ فَذَلِكَ الكَرَمُ أَرْوقُ، وَقَابِت عَلَى التَّقْوَةِ فَذَلِكَ، وثابت على الشقوة فذلك المطرح المرفوض. والأطعمة أربعة: مذهب السغب وذلك طعام الصحيح ومقيم الجسد وذلك قوت المريض، وقاضي الواجب وهو ما دعا إليه الآدبون، ورابع لا يراد للسغب ولكن للتشريف وذلك طعام الملوك. فاطعمنى اللهم من حلٍ فإن بقاء المأكل قصير. والعلم أربعة أصناف: علم للمكسب فذلك مهنة وابتذال، وعلم للمفاخرة فذلك علم السفهاء، وعلم للآخرة وذلك علم الصالحين، ورابع يبعث عليه شرف النفس وذلك علم النبلاء. واالله خلق السماء كالروضة والنجوم كأنها نور أقاح. غاية." [٣٢]

إن نص أبي العلاء المعري يحيل على آيات كثيرة، لم يكن تناصها مباشرة، لكنها مبثوثة على عموم القرآن، فالمعري استخلص أقسام الخيانة من خلال آيات التي وردت في هذا الصدد، فجعل لكل حاسة من حواس الإنسان وأعضائه خيانة، إذ يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [٣٣]. وقوله تعلى: ﴿لاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السمع والبصر والفؤاد كُلُّ أولئك كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً وَلاَ تَمْشِ فِي الأرض مَرَحاً﴾[٣٤]. وقوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)[٣٥]

والعلم أصناف أربعة، وهذا التقسيم ليس غريبا عن القرآن، فقد قسم الله تعالى تلك الأصناف، لكنه لم يطلق على بعضها تسمية العلم، فالصنفان الأول والثاني فقد ذكرهما القرآن دون أن ينعتهما بالعلم. فالصنف الأول والثاني ذكرهما القرآن دون أن ينعتهما بالعلم، ومن المؤكد لم يفت المعري معرفة ذلك، ولكن المعري قد عاش في زمن كثر فيه التعلم مفاخرة ورياءً، وهذا الأمر لم تنتفي دواعيه في كل الأزمان فما زال هناك من يطلب العلم مفاخرة ومنافسة.

وقد أحال النص على معاني آيات كثيرة منها قوله تعالى: (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾[٣٦] وقد ورد في تفسير الأمثل ما يشير إلى المفاخرة إذ يقول:((أن أهل الجاهلية كانوا يعقدون مجالسا بعد الحج للتفاخر بآبائهم وذكر مفاخرهم أو أنهم يجتمعون في الأسواق كسوق (عكاظ، ذي المجاز، مجنة) لم تكن هذه الأسواق مراكزا تجارية فحسب، بل أماكن لتلك المجالس الباطلة التي يجتمع فيها الناس ويذكرون مفاخر أسلافهم) [٣٧]، ومن الطبيعي

كان هؤلاء هم أهل معرفة بالأنساب والوقائع والتواريخ وهذا أوضح مصاديق علم السفهاء فالمعري تطلع إلى هذا الأمر وأطلق عليه علم المفاخرة أو السفهاء.

وقد قال الله تعالى في آية التداين ((إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم)) [٣٨]، فهذه الآية تصيغ بعض قواعد البيع والمهن، وأبو العلاء قد جعلها علما، لما يعلم من مقتضيات التجارة ولوازمها التي لا غنى عنها. فالدين الإسلامي جعل التجارة علما، بمسائله الفقهية الواسعة.

وأما الصنف الثالث فقد وقع تناص مع قوله تعالى :(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) [٣٩] فهولاء علماء الأخرة نعتهم المعري بالصالحين.

وأما الرابع من أضاف العلم (علم النبلاء)وقد أشار القران إلى ذلك بقوله (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٤٠]و قوله تعالى: (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [٤١] (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٤٢]

((رجع: خَفْ اللَّهَ سَالِماً خَوْفٌ رَدِ، عَلَمَ في البَدِ، مَا يَكونُ في الأبد، ما وفتِ الحياة لأحَدٍ، غَدَر بقاء بالوالد والوَلَدِ، مَا اتَّقَاكَ سَيفٌ بِرُبَدٍ، ولا جرى ماءٌ تَحْتَ زَبَدٍ، إلا بِقُدْرَةِ العَلِيِّ الصَّمَدِ، فَالْبَسَ تَوْبَ ذَلِيلِ مُستعبَدٍ، وأتبعِ اليَدَ بِالْيَدِ، وَأَنْزِلَ بِالرَّوْضَةِ المَرَاجِ. غاية.

تفسير: الرِّدى: الْهَالِكُ. والبَدُ مُخَفَّفٌ مِنَ البَدْءِ؛ كما قرأ بعضُهُمْ "يُخرجُ الخَبَ". وَالرُّبَدُ. طرائق السيف وهي السَّفَاسِقُ. والمِئرَاجُ: الطَّيِّبَةُ الرَّائِحَةِ مَأْخُوذ من الأرج)).[٤٣]

يحيل النص منذ بدايته إلى معاني قرآنية، جاءت مقتطعة، وبشكل إشارات سريعة. ففي بداية النص يأخذ المعري من قوله تعالى ((واتقوا الله))واستعاض عن فعل الوقاية بلفظ (خف) وفي ذلك تضمين لمعنى الفعل؛ ذلك لأن المعري في مقام تخويف وترهيب من الله من سوء أعمال الناس، وسوء ظن المعري بهم.

قال الراغب الأصفهاني ((والتَّقْوَى جعل النّفس في وِقَايَةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثمّ يسمّى الخوف تارة تَقْوَى، والتَّقْوَى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه)) [٤٤]وقوله (عَلَمَ في البَدِ) يعني علم في البدء وما يكون في الأبد. وهو تناص مع قوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [٤٥]

وقوله: " غَدَر بقاء بالوالد والوَلَدِ " تناص مع قوله تعالى: ((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)) [٤٦]ولا يخفى على أحد من المسلمين، أن في قوله: " إلا بِقُدْرَةِ العَلِيِّ الصَّمَدِ " تناص صريح مع قوله تعالى: ((الله الصمد)) [٤٧]و " وهوعلى كل شيء قدير". وقد تتنوع الإحالات القرآنية بين المباشرة والمحورة في النص، وتذوب في بوتقة الأدبية كما في النص أعلاه.

من الواضح أن دخول النص النثري بعلاقة مع النص القرآني، لمنحه طاقة وجدانية ودلالية، ويحفز ذاكرة المتلقي، فالأديب حين يستدعي معاني قرآنية ويحاور آياتها ويتقاطع النص معها، ذلك ليستدعي القارئ لاستحضار الآيات القرآنية المحال عليها، لينتج دلالة نصية جديدة، والأديب في ذلك لا يعمد إلى سردها بل الى استثمارها بل يقيد من إمكانياتها الايحائية المضادة للتقريرية والمباشرة، فهو ينتشل معناه الادبي من سطحية التعبير، كما نلاحظه في النص إذ يقول المعري: ((رجع: وَصِيحَ بِالْأَرْضِ اقبلي رَهْنَكِ، وبِالنَّزِيلِ فَاغْدِرِى، وَحِيزَ المالُ وَنُسِيَ الْعَهْدُ، وَانْتَوَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنيسهُ ذُو الْوُد القديم. لا تُعْجِبكَ زَهْرَةُ الربيع فَتَرَى مُختالاً الزَّاهِرِيةَ؛ فَإِنَّ القَيْظَ مِنْ وَرَاءِ الرِّياضِ. كَانَتِ الْأَرْضُ وَلَا وَادِى بِهَا، والْوَادِى وَلاَ سَمُرَةَ فِيهِ، وأحدَثَتِ السَّمْرَةُ حُبْلَةٌ كلِّ عَامٍ، وَلَوْ شَاء المَنْشِيُّ لَجَعَلَ الحَبْلَةَ سَمُرَةٌ، والسَّمرَةَ وَادِياً، وَالْوَادِيَ شَاهِقاً، والشَّاهِقَ خُضَارَةٌ، وَحْضَارَةً وَدَفَةٌ. فِيحِي فَيَاح. غاية.

تفسير: الزَّاهِرِيَّةُ: ضَرْبٌ مِنَ المَشْيِ فِيهِ اخْتِيال. وَالحَبْلَةُ: ثَمَرَةُ المرة. وخُضَارَةُ: الْبَحْرُ. وَالوَدَفَةُ: مَوْضِعُ مُطْمَئِن حَوَالَيْهِ صُخُورٌ وآكام وَيَكُونَ مِحْصَباً؛ وَرُمَا سُمِّيَتِ الرَّوْضَةُ وَدَفَةٌ. وَقَدِ اخْتُلِفَ فِى هَذا الحَرْفِ فَقِيلَ هُوَ بِالدَّالِ وبِالدَّالِ غَير مُعْجَمَة؛ ذَكَرَهُ الزَّجَاجُ فِي كِتَابِهِ المَعْرُوفِ « مِجَامِعِ النُّطْقِ » وَقَالَ: جَمعُ الوَدَفَةِ وِدَافَ، وَأَنْشَدَ:

تَقُولُ لِي مَائِلَة الْعِطَافِ: مَالَكَ قَدْ مُتَّ مِنَ الْمُجَافِ ذَلِكَ سَوْقُ الْيُفْنِ فِي الْوِدَافِ اليف: جمع يَفَن، وهو الشيخ الكبير. وفيحي فَيَاحَ: كَلِمَةٌ تُقَالُ عِندَ الخِصبِ وقد اتسع في ذلك فاستعملَ في الغارةِ)) [٤٨].

أن القارئ الذي ليس له صلة بالاجواء القرآنية، قد لا يستطيع أن يجيد من النص معنى أبعد من دلالته الضاهرية، لكن ذوي الثقافة القرآنية يرشح النص بقرانية بين أيديهم، فهنا يتجاوز المعري إحضار المعاني القرآنية إيحاء وإشارة، بل يصل إلى توظيف النغم القرآني وموسيقاه، فلنتأمل في قول المعري "وَصِيحَ بِالْأَرْضِ اقبلي رَهْنَكِ، وبِالنَّزِيلِ فَاغْدِرِى، وَحِيزَ المالُ وَنُسِيَ الْعَهْدُ، وَانْتَوَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنيسهُ ذُو الْوُد القديم " فمن امتلأ قلبه بالقرآن سوف يحضر سريعا في صدره قوله تعالى: ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) [٤٩] فالجانب الموسيقي حاضر في عبارة المعري ويستوحي نغمة تلك الآية الكريمة، يتجلى ذلك في الأفعال المبنية للمجهول، ومخاطبة الأرض بهذه اللغة المتسعلية بأفعال أمر، ثم حسن التقسيم في العبارات، اقبلي رهنك، وبالنزيل فاغدري، وخيز المال، ونسي العهد.

ثم يعطف المعري في كلامه على قدرة الله سبحانه، ومشيئته وتقليبه الأحوال من حال إلى حال، هو المعنى الذي أراده أبو العلاء المعري من نصه، وهذا المعنى منصهر في معنى أوسع منه هو الإذلال والتواضع، فالمعري لا يجد جدوى من انعجاب الربيع بنفسه فوراء تلك الرياض حر شديد لا يبقيها على جمالها، ثم يختم رجعه، بأن مشيئة الله قادرة على كل شيء، إذ قال تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن

بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)) ولك أيها القارئ ان تتأمل النص المنثور بعد قراءة الآيات وستجده متأثرا موسيقيا ومعنويا، فالآية قد نفت كل دواعي العجب والغرور عن الإنسان فهو بين ضعفين، ثم ختمت بقدرة الله تعالى، ومشيئته في خلقه.

إنَّ القرآنية غير المباشرة تأتي عفو الخاطر، وربما تجيء دون وعي من الكاتب أو قصد، ولذا فإن ذلك مؤشر على عمق أثر القرآن في منشئ النص، ومن المؤكد أن المعري كان حافظا للقرآن، نستنتج ذلك من اهتمامه باللغة العربية الذي يحتم عليه الرجوع إلى القرآن الكريم بوصفه معدِن للغة السليمة والبلاغة الرفيعة، ومن الأخبار التي تفيد بأنه سريع الحفظ، له قلبا واعيا وأذنا حافظة.

الخاتمة:

١) تمخض مصطلح القرآنية من تراكم مصطلحات تحيل على مفهوم يكاد يكون واحد، إلا أن القرآنية كانت أضبط وأدق لتدل على الأخذ من القرآن الكريم كما كان متوافق مع شروط وضع المصطلح أكثر من غيره فقد تجنب الملابسة والإيهام بين مدلولي اللفظة لغة وإصطلاحاً، وهذا ينقص التناص. كما تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد (التناص القرآني والتناص الديني) فلا وجه قبول لهما لأن الدلالة التي يعززها تركيبهما توصي بأن النص (المطروح) آخذاً من القرآن أو الدين كما يمكن أن يوصي بأن النص المطروح (مأخوذاً) من القرآن أو الدين أي أن الدلالة الناتجة عنهما هي دلالة ثنائية لا تعطينا المفهوم المراد.

كذا كان إيثار اللفظة المفردة على المصطلح المركب داعٍ آخر لهذا الاجتراح. كما يُفضل مصطلحات التراث العلمي على المولّدات والمحدّثات، لقد حمل المصطلحان (التناص القرآني والتناص الديني) صفة التوليد والإحداث؛ وذلك لربط مصطلح غربي وهو (التناص) مع لفظ مقدس وهو (القرآن) أو (الدين) وقد حافظ مصطلح (القرآنية) على التسمية الموروثة للقرآن الكريم ولم يتجنَّ عليها، ناهيك عن القدسية التي يحافظ عليها مصطلح (القرآنية) أكثر من إضافة مصطلح غربي الى لفظ مقدس هو(القرآن).

٢) نستبعد تلك التهمة التي اتهم بها المعري من القدماء من أنه حاذى القرآن الكريم ونظم على منواله مساماة ومباراة، والدليل في ذلك، أن لو رجعنا إلى الفترة التي ألف بها المعري كتابه الفصول والغايات وهي فترة بعد عام ٤٠٠ هـ بقليل، لوجدنا أنها فترة إلتزم بها المعري التزاما دينيا، فزهد في الدنيا وتنسك وانقطع عن العالم إلى عزلته، وتشهد عليه سائر مؤلفات تلك الفترة من خطب وكتب وعظية وأخلاقية، وحتى ديوان اللزوميات وقد شرع في تأليفه أبان تلك الفترة، كتب مقدمة الديون بغاية دينية محضة، وبهذا نستبعد أن يكون المعري قد عارض القرآن. علاوة على عقليته الفذة في البلاغة القرآنية.

٣) القرآنية في كتاب الفصول والغايات حضرت بأشكال مختلفة منها المباشرة وغير المباشرة، وجاءت لتعمق دلالة النص وإثرائه، كما جاءت لتزيد النص أدبية ومعنى تنتظم فيه المعاني وتسلك. فكانت كلما زادت القرآنية في نص من النصوص زاد النص تلاحما ورصفا واسبك في سبك واحد ونظم رصين. كما أنها من أنجع الطرق النافية لتلك التمة التي اتهم بها المعري، فقد كشفت عن تشرب المعري للقرآن علومه، فقد استدعى الكثير من الآيات ووظفها توظيفا بليغا يعزب عنه الكثير من الأدباء.

الهوامش:

(١) تأصيل النص، قراءة في ايدلوجيا التناص، د. مشتاق عباس معن: ١٧٠ .
(٢) المدوّنة الرقميّة الشعريّة - التفاعل - المجال- التعالق: ٨٧ .
(٣) تأصيل النص: ١٧٠ .
(٤) المصدر نفسه: ١٦٩ .
(٥) ينظر: الطفّيّات المقولة والاجراء النقدي، د. علي كاظم المصلاوي :١٥٥ .
(٦)
(٧) القرآنيّة في نهج البلاغة، علي ذياب العبادي، مجلّة العميد، ع (٦)، حزيران ، ٢٠١٣م: ٧٤ .
(٨) أفق الخطاب النقدي، دراسات نقدية وقراءات تطبيقية، د. صبري حافظ، دار شرقيّات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م: ٦٢ .
(٩) فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، دراسة تناصية، د. عبد الله طاهر الحذيفي، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط١، ٢٠٠٩م: ٣٧١ .
(١٠) ينظر: التناص القرآني في شعر نزار قباني، د. مصطفى صالح علي، مجلة جامعة تكريت، مجلد (١٩)، ع(٧)، تموز، ٢٠١٢م، ٢٣٦ .
(١١) القرآنية في شعر علي بن محمد بن علي آل رمضان، د. محمد عبد الرسول جاسم السعدي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مجلد الثاني عشر، ع(٢) ،انساني، ٢٠١٤م :٤٥ .
(١٢) الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري: ٤: ١٣٢. ضمن كتاب إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ،دار القلم، ط٢، ١٩٨٩، ١٤٠٩ه.
(١٣) تاريخ الإسلام: ١٩٥. ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء.
(١٤) رأي في أبي العلاء المعري: أمين الخولي: ١٣٢.
(١٥) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء " :١٠١ .
(١٦) المصدر نفسه: أمين الخولي: ١٣٢ - ١٣٣.
(١٧) القرآنية في دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في عرفة، سناء علي حسين الحمداني، مجلة أهل البيت، العدد التاسع: ٢٦٧ .
(١٨) ينظر: الطفّيّات المقولة والإجراء النقدي: علي كاظم المصلاوي: ١٧٢ .
(١٩) تأصيل النص: ١٨٢
(٢٠) الفصول والغايات: ٤١.
(٢١) إبراهيم: ١٥.
(٢٢) الزمر : ٦٢
(٢٣) ال عمران: ٢٩
(٢٤) الفصول والغايات: ١٧٣.
(٢٥) الفصول والغايات: ١٧٧.
(٢٦) لقمان :١٢
(٢٧) التوبة (٥٦)
(٢٨) ينظر: الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقات النصية، رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجاً، سليمة عذاوري، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م: ٥٠ .
(٢٩) التناص القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري، د. حميد صباحي كراغاني وآخرون، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع (١٥)، السنة السادسة، ٢٠١٤م: ٦ .
(٣٠) التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، دراسة ونقد، علي سليمى – عبد الصاحب طهمابس، اضاءات نقدية (فصلية محكّمة)، السنة الثانية، ع (٦)، حزيران، ٢٠١٢م: ٩٢ .
(٣١) ينظر: القرآنية في شعر الرواد في العراق: ١٠
(٣٢) الفصول والغايات :٣٩٩- ٤٠٠.
(٣٣) غافر ١٩
(٣٤) الإسراء ٣٦
(٣٥) الإسراء ٣٢.

(٣٦) البقرة: ٢٠٠
(٣٧) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :٢: ٦٠ .
(٣٨) البقرة ٢٨٢
(٣٩) القصص ٨٠
(٤٠) العنكبوت (٢٠)
(٤١) يونس: ١٠١
(٤٢) الحج :٤٦. وهو خير العلوم وأنجعها، فهو التأمل في خلق الله وعظمته، وقد حثت الأحاديث على هذا الصنف من المعرفة فقد جاء في الحديث قال الإمام علي (عليه السلام): "لا عبادة كالتفكر في صنعة الله عز وجل". ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ٣: ٢٤٦٥.
(٤٣) الفصول والغايات: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٤٤) مفردات الراغب الأصفهاني: ٨٨١.
(٤٥) لقمان: ٣٤.
(٤٦) الرحمن: ٢٦.
(٤٧) التوحيد: ٢.
(٤٨) الفصول والغايات: ٣٤٢ـ ٣٤٣.
(٤٩) هود: ٤٤.

المصادر والمراجع

القران الكريم
١. الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقات النصية، رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجاً، سليمة عذاوري، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م.
٢. أفق الخطاب النقدي، دراسات نقدية وقراءات تطبيقية، د. صبري حافظ، دار شرقيّات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
٣. تأصيل النص، قراءة في ايدلوجيا التناص، د. مشتاق عباس معن، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء _ اليمن، ٢٠٠٣.
٤. التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر – أحمد العواضي أنموذجاً، عصام حفظ الله واصل، دار غياء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.
٥. التناص في شعر أبي العلاء المعري، د. ابراهيم مصطفى محمد الدهون، عالم الكتب الحديث، اربد –الاردن، ط١، ٢٠١١م.
٦. التناص القرآني في شعر نزار قباني، د. مصطفى صالح علي، مجلة جامعة تكريت، مج (١٩)، ع(٧)، تموز، ٢٠١٢م.
٧. الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقات النصية، رواية العلامة لبن سالم حميش نموذجاً، سليمة عذاوري، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦م.
٨. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين اسماعيل، دار العودة، وزارة الثقافة، بيروت، ط٣، د.ت.
٩. التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، دراسة ونقد، علي سليمى – عبد الصاحب طهمابس، اضاءات نقدية (فصلية محكّمة) ، السنة الثانية، ع (٦)، حزيران، ٢٠١٢م.
١٠. الطفّيّات المقولة ولاجراء النقدي، د. علي كاظم المصلاوي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، وحدة الدراسات التخصّصيّة في الامام الحسين (عليه السلام)، كربلاء، ط١، ٢٠١٢م.
١١. فاعلية التعبير القرآني في الشعر المحدث العباسي، دراسة تناصية، د. عبد الله طاهر الحذيفي، عالم الكتب الحديثة، إربد، ط١، ٢٠٠٩م.
١٢. القرآنية في دعاء الامام الحسين (عليه السلام) في عرفة، سناء علي حسين الحمداني، مجلة أهل البيت، العدد التاسع.
١٣. القرآنية في شعر الرواد في العراق، احسان محمد جواد، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة القادسية، ٢٠٠٠م.

١٤. القرآنية في شعر علي بن محمد بن علي آل رمضان، د. محمد عبد الرسول جاسم السعدي، مجلة جامعة كربلاء العلمية، مج الثاني عشر، ع(٢)، انساني، ٢٠١٤م.
١٥. القرآنيّة في نهج البلاغة، علي ذياب العبادي، مجلّة العميد، ع (٦)، حزيران، ٢٠١٣م.
١٦. المدوّنة الرقميّة الشعريّة - التفاعل - المجال- التعالق، د. حسن عبد الغني الاسري، مطبعة الزوراء، العراق، ط١، ٢٠٠٩م.
١٧. الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ، أبو العلاء المعري، تحقيق: محمود حسن زناتي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.
١٨. التناص القرآني في شعر محمد مهدي الجواهري، د. حميد صباحي كراغاني وآخرون، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ع (١٥)، السنة السادسة، ٢٠١٤م.
١٩. التناص القرآني في الشعر العراقي المعاصر، دراسة ونقد، علي سليمى – عبد الصاحب طهمابس، اضاءات نقدية (فصلية محكّمة) ، السنة الثانية، ع (٦)، حزيران، ٢٠١٢م.
٢٠. رأي في أبي العلاء المعري، أمين الخولي، جماعة الكتاب، ١٩٤٥.
٢١. الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري، لأبن العديم، ضمن كتاب اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، حلب، دار القلم، ط٢، ١٩٨٩، ١٤٠٩هـ.
٢٢. تعريف القدماء بأبي العلاء، د. طه حسين وتحقيق مجموعة من الأساتذة، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣.